الباب السابع والأربعون

في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه

وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله [تعالى] : ﴿ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ** ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وفي موضع : ﴿ **تجري تحتها الأنهار** ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وفي موضع : ﴿ **تجري مِنْ تحتهم الأنهار** ﴾ [يونس : ٦] وهذا يدل على أمور :

أحدها : وجود الأنهار فيها حقيقة . الثاني : أنها جارية لا واقفة . الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم، كما هو المعهود في أنهار الدنيا، وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم، وتصريفهم لها كيف شاؤوا ، وكأن الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير أخدود، فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله : ﴿ **تجري مِنْ تحتِها الأنهار** ﴾ على أنها تجري بأمرهم، إذ لا يكون فوق المكان تحته، وهؤلاء أتوا من ضعف الفهم، فإن أنهار الجنة ـ وإن جرت في غير أخدود ـ فهي تحت القصورِ والمنازلِ والغرف، وتحت الأشجار، وهو سبحانه لم يقل : من تحت أرضها ، وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا، فقال : ﴿ **أَلَمْ يَرُوا كَمْ أهلَكْنَا مِنْ قَبلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ في الأَرْضِ ما لَمْ نمكِّنْ لَكُم ، وأرسَلْنا السَّماءَ عليهم مِدْراراً ، وجَعَلْنَا الأنهارَ تجري من تحتهم** ﴾ [الأنعام : ٦] ، فهذا على المعهود المتعارف، وكذلك ما حكاه من قول فرعون : ﴿ **وهذهِ الأنهارُ تجري من تحتي** ﴾ [الزخرف : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ **فيهما عينَانِ نَضَّاخَتَانِ** ﴾ [الرحمن : ٦٦] قال ابن أبي شيبة : حدثنا يحيى ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد قال: نضاختان بالماء والفواكه.

وحدثنا ابن يمان، عن أبي إسحاق، عن أبان، عن أنس قال: نضاختان: بالمسك والعنبر تنضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا.

وحدثنا عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: اللتان تجريان أفضل من النضاختين وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتَّقونَ فيها أنهارٌ مِنْ مَاءٍ غيرِ آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُه، وأنهارٌ من خَمْرٍ لذَّةٍ للشاربينَ، وأنهارٌ من عسلٍ مُصَفًّى ولهمْ فيها من كُلِّ الثمراتِ ومغفرةٌ مِنْ رَبِّهم ﴾ [محمد: ١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة، وأن يصير قارصاً، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالى أن يُجري أنهاراً من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما نفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا، من الصداع والغَوْل واللَّغوِ والإنزاف، وعدم اللذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا، يغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتورث الخزي والندامة والفضيحة، ويلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان، وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال، الذي جعله الله قياماً له، ولمن تلزمه مؤنته، وتهتك الأستار، وتظهر الأسرار، وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد

وثن، وكم أهاجت من حرب، وأفقرت من غني، وأذلَّت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، ونسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وحبِّهِ فذهبت بقلبه، وراحت بلبه ، وكم أورثت من حسرةٍ وأجرت من عبرة، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية، وعجلت من منية، وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة ، وجرأت عليه من سَفِلة، فهي جِماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلَّابة [النِّعم] ، وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمرة الجنة في جوف عبد، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا لم يشربْها في الآخرة »[1] . [لكفى] .

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وكلها منتفية عن خمر الجنة .

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية، ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسَن، فما فائدة قوله : ﴿ غير آسنٍ ﴾ ؟

قيل : الماء الجاري وإن كان لا يأسن، فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن ، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ، ولو طال مكثه ما طال .

فتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة ، التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم ، وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم . والله أعلم .

فصل

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها، كما روى البخاري في « صحيحه » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه،عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ في الجنة مئةُ درجةٍ أعدَّها اللَّهُ عزَّ وجلَّ للمجاهدين في سبيله بينَ كلِّ درجتينِ كما بينَ السماءِ والأرضِ ، فإذا سألتم اللَّهَ فاسألوه

(١) أخرجه احمد ٢/٢٢ ، ٢٨، ١٠٦، ١٢٣، ١٤٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

الفردوسَ، فإنه وسَطُ الجنة، وأعلى الجنةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تُفجّر أنهار الجنةِ[1].

وروى الترمذي نحوه من حديث معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، ولفظ حديث عبادة: «الجنةُ مِئةُ درجةٍ ما بينَ كلِّ درجتينِ مسيرةُ مئةِ عام، والفردوسُ أعلاها درجة، ومنها الأنهارُ الأربعةُ، والعرشُ فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ الأعلى»[2].

وفي «المعجم» للطبراني من حديث الحسن، عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الفردوسُ رَبوةُ الجنَّةِ، وأعلاها وأوسطُها، ومنها تفجّرُ أنهارُ الجنةِ»[3].

وفي «صحيح» البخاري من حديث شعبة، عن قتادة قال: أخبرني أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رفعتْ إليَّ سدرة المنتهى في السماء السابعة، نبقها مثلُ قلالِ هجرَ، وورقُها مثلُ آذانِ الفِيَلَةِ، ويخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: أما النهرانِ الباطنانِ ففي الجنة، وأما النهران الظاهران، فالنيل والفرات»[4].

وفي «صحيحه» أيضاً من حديث همام، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «بينَا أنا أسيرُ في الجنةِ، إذا أنا بنهرٍ حافتاهُ قِبابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ، فقلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّكَ، قال: فضرب الملكُ بيده، فإذا طينُه مسكٌ أذفرُ»[5].

وفي «صحيح» مسلم من حديث المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الكوثرُ نهرٌ في الجنة وعدنيه ربي عزَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) في الجهاد: باب (٤) درجات المجاهدين في سبيل الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣٠) من حديث معاذ و(٢٥٣١) من حديث عبادة في صفة الجنة: باب (٤) ما جاء في صفة درجات الجنة، وليس فيه لفظ «الأعلى».

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٧/٢١٣ (٦٨٨٦)، وفي «مسند الشاميين» (٢٦٤٨) له أيضاً.

(٤) أخرج البخاري نحوه (٥٦١٠) في الأشربة: باب (١٢) شرب اللبن، بألفاظ متقاربة.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٨١) في الرقاق: باب (٥٣) في الحوض، والترمذي (٣٣٦٠) في التفسير: باب (٩٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وجلَّ »[1] . وقال محمد بن عبدالله الأنصاري : حدثنا حميد الطويل، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافتاه خيامُ اللؤلؤ ، فضربتُ يدي إلى ما يجري فيه من الماء ، فإذا أنا بمسكٍ أذْفرَ. فقلتُ : لمن هذا يا جبريلُ ؟ قال : هذا الكوثرُ الذي أعطاكه اللهُ عزَّ وجلَّ »[2] .

وقال « الترمذي » : حدثنا هناد، حدثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثرُ نَهْرٌ في الجنةِ حافتاه من ذهب، ومجراهُ على الدّرِ والياقوتِ، تربتُه أطيبُ من المسكِ ، وماؤه أحلى من العسلِ ، وأبيضُ من الثلجِ »[3] قال : هذا حديث حسن صحيح . وقال أبو نعيم الفضل : حدثنا أبو جعفر هو الرازي، حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **إنَّا أعطيناكَ الكوثرَ** ﴾ [الكوثر : ١] قال : الخير الكثير[4] . وقال أنس بن مالك : نَهرٌ في الجنةِ[5] ، وقالت عائشة : رضي الله عنها : هو نهر في الجنة ليس أحدٌ يدخل إصبعَيهِ في أذنيه إلا سمع خريرَ ذلك النهر[6] ، وهذا معناه ـ والله أعلم ـ أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل إصبعيه في أذنيه .

وفي « جامع » الترمذي من حديث الجُرَيري ، عن حكيم بن معاوية، عن

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٤٠٠) في الصلاة: باب (١٤) حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة.

(٢) أخرجه أحمد ١٠٣/٣ ، والطيالسي (١٩٩٢) ، والترمذي (٣٣٥٩) في التفسير : باب (٩٠) وقال: حديث حسن صحيح. وفيه: قباب بدل خيام، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٤٠٣/٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجة.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٦١) في التفسير : باب (٩٠) ومن سورة الكوثر .

(٤) ذكر في «تفسير» مجاهد ٧٩٠/٢ وفيه: عن سعيد، عن ابن عباس، والحاكم ٥٣٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وابن كثير في «التفسير» ٥٥٨/٤، والسيوطي في «الدر» ٤٠٢/٦ ونسبه إلى ابن جرير، وابن مردويه.

(٥) ذكره السيوطي في « الدر » ٤٠٢/٦ .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٤٠٢/٦ ، وابن كثير ٥٥٧/٤ وقال : وهذا منقطع بين ابن نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها .

أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنةِ بحرَ الماءِ ، وبحرَ العسلِ ، وبحرَ اللبنِ ، وبحرَ الخمرِ ، ثم تشقق الأنهارُ بعدُ »[1] قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرَّة ، عن عبدالله بن ضمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من سرَّهُ أن يسقيهُ الله عزّ وجلّ من الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ، ومن سرَّهُ أن يكسوه الله الحريرَ في الآخرةِ فليتركه في الدنيا ، أنهار الجنةِ تُفجَّرُ من تحتِ تلالِ ، أو تحت جبالِ المسكِ ، ولو كان أدنى أهلِ الجنةِ حليةً عدلتْ بحلية أهل الدنيا جميعاً ، فكان ما يحليهِ الله به في الآخرة أفضلَ من حلية أهلِ الدنيا جميعاً »[2] .

وذكر الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن مسروق ، عن عبدالله قال : إنَّ أنهارَ الجنةِ تُفجّرُ من جبلِ مسكٍ[3] وهذا موقوف صحيح .

وذكر ابن مردويه في « مسنده » : حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم ، حدثنا عبدالله بن محمد بن النعمان ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث ابن عبيد ، حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس ، عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هذه الأنهارُ تشخبُ من جنّةِ عَدْنٍ في جَوْبة ، ثم تَصدَّعُ بعدُ أنهاراً »[4] .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا يعقوب بن عبيدة ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا الجُرَيري ، عن معاوية بن قُرَّةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال :

---

(١) أخرجه الترمذي في « جامعه » (٢٥٧١) في صفة الجنة : باب (٢٧) في صفة أنهار الجنة ، وابن حبان (٢٦٢٣) في « الموارد » ، والدارمي ٢/٣٣٧ ، وأحمد ٥/٥ ، وأبو نعيم في « الحلية » ٦/٢٠٥ .

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٦٢٢) في « الموارد » مختصراً ، والبيهقي في « البعث » (٢٩٢) ، ونسبه في « كنز العمال » (١٣٢٢٠) إلى ابن عساكر أيضاً .

(٣) أورده ابن كثير في « تفسيره » بلفظه ٤/١٧٦ .

(٤) أورده ابن كثير في « التفسير » ٤/١٧٦ في سورة محمد .

« أظنُّكم تَظنونَ أن أنهارَ الجنةِ أخدودٌ في الأرضِ ؟ لا واللهِ إنها لسائحةٌ على وجهِ الأرضِ ، إحدى حافّتيها اللؤلؤ ، والأخرى الياقوت ، وطينه المسك الأذفر ، قلت : ما الأذفر؟ قال : الذي لا خلْطَ له ، ورواه ابن مردويه [في « تفسير »] عن محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى ، حدثنا مهدي بن حكيم ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا الجُرَيري ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ، فذكره هكذا ، رواه مرفوعاً[1] .

وقال أبو خيثمة : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر : ١] فقال : قال رسول الله ﷺ : «أُعطيتُ الكوثرَ فإذا هو يَجري ، ولم يُشقَّ شَقاً ، وإذا حافتاه قبابُ اللؤلؤِ فضربتُ بيدي إلى تربتهِ ، فإذا مِسْكٌ أذفرُ ، وإذا حصباؤه اللؤلُؤ»[2] .

وذكر سفيان الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن مسروق : في قوله تعالى : ﴿ ومَاءٍ مَسكُوبٍ ﴾ [الواقعة : ٣١] قال : أنهار تجري في غير أخدود[3] قال : ﴿ ونخلٍ طلعُها هَضِيم ﴾[4] [الشعراء : ١٤٨] قال : من أصلها إلى فرعها ، أو كلمة نحوها .

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سَيحانُ وجيحانُ والفراتُ والنيلُ : كلٌّ من أنهار الجنةِ »[5] .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا سعيد بن سابق ، حدثنا مسلمة بن علي ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « أنزلَ اللهُ من الجنةِ خمسةَ أنهارٍ : سيحونَ : وهو نهرُ الهندِ ، وجيحونَ : وهو نهرُ بلْخٍ ، ودجلةَ والفراتَ : وهما نهرا العراقِ ، والنيلَ : وهو نهرُ مصرَ ، أنزلها الله من عينٍ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ٦/٢٠٥ وأورده ابن كثير ٤/١٧٦ بلفظه وسنده .

(٢) أخرجه أحمد ٣/١٥٢ ، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤/٥٥٧ ، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/٤٠١ ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن مردويه .

(٣) أورده ابن كثير في « التفسير » ٤/٢٩٠ بلفظه وسنده في تفسير سورة الواقعة .

(٤) هضيم : لطيف لين .

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٣٩) في صفة الجنة : باب (١٠) ما في الدنيا من أنهار الجنة .

واحدةٍ من عيونِ الجنةِ، من أسفلِ درجةٍ من درجاتها على جناحي جبريلَ ﷺ ، فاستودعها الجبالَ ، وأجراها في الأرضِ ، وجعل فيها منافعَ للناس في أصنافِ معايشهم ، فذلك قوله : ﴿ **وأنزلنا من السماءِ ماءً بقدَرٍ فأسكناهُ في الأرضِ [وإنَّا على ذهابٍ بهِ لقادرون]** ﴾ [المؤمنون : ١٨] . فإذا كان عند خروج يَأجُوجَ ومأجُوجَ أرسل جبريلَ فرفع من الأرض القرآن ، والعلم كلّه ، والحجرَ الأسود من ركن البيت ، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك كله إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **وإنَّا على ذهابٍ به لقادرُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٨] فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض، فقد حرم أهلها خير الدنيا والآخرة »[١] . رواه أبو أحمد ابن عدي في ترجمة مسلمة[٢] ، هذا مع أحاديث غيره، وقال: عامة أحاديثه غير محفوظة، وبالجملة فهو من الضعفاء . قال البخاري[٣] : منكر الحديث. وقال النسائي[٤] : متروك. وقال أبو حاتم[٥] : لا تشتغل به .

وقال عبدالله بن وهب : حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عقيل بن خالد، عن الزهري ، أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنَّ في الجنةِ نَهراً يُقالُ له : البَيْدَحُ ، عليه قِبابٌ من ياقوتٍ تحتَهُ جوارٍ، تقول أهل الجنة : انطلقُوا بنا إلى البَيْدَحِ ، فيتصفحون تلك الجواري ، فإذا أعجب رجلاً منهم جاريةٌ مسَّ مِعصَمها فتتبعُهُ .

فصل

وأما العيون فقد قال تعالى : ﴿ **إنَّ المتقينَ في جناتٍ وعُيونٍ** ﴾

---

(١) حديث ضعيف أخرجه الخطيب في «التاريخ» ١/٥٧ ـ ٥٨، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٥/٨ وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٢) أورده في « الكامل » في ترجمة مسلمة بن علي الخشني ٦/٢٣١٦ .

(٣) البخاري في « التاريخ الكبير » ٧/٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٤) في « الضعفاء والمتروكين» (٥٧٠) .

(٥) في « الجرح والتعديل » ٨/٢٦٨ .

[الذاريات: ١٥]وقال تعالى: ﴿**إنَّ الأبرارَ يشربونَ من كأسٍ كان مزاجُها كافوراً ، عيناً يشربُ بها عبادُ الله يُفَجِّرونَها تفجيراً**﴾ [الإنسان : ٥ ـ ٦] ، قال بعض السلف : معهم قضبان الذهب، حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله : ﴿ **يشرب بها** ﴾ .

فقال الكوفيون : [الباء] بمعنى مِن، أي يشرب منها .

وقال آخرون : بل الفعل مضمن[1] ، معنى يشرب بها : أي يَرْوى بها ، فلما ضمنه معناه عدّاه تعديته، وهذا أصح وألطف وأبلغ .

وقالت طائفة : الباء للظرفية فيه ، والعين اسم مكان ، كما تقول : كنَّا بمكان كذا وكذا، ونظير هذا التضمين قوله تعالى : ﴿ **ومن يُرِدْ فيهِ بإلحادٍ بظُلْمٍ** ﴾ [الحج : ٢٥] ضمن معنى به[2] فعدي تعديته وقال تعالى : ﴿ **ويُسقونَ فيها كأساً كان مزاجُها زَنجَبيلاً . عَيْناً فيها تُسمَّى سَلْسَبِيلاً** ﴾ [الدهر: ١٧ ـ ١٨] ، فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً ، أن شراب الأبرار يمزج منها ، لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلّها لله ، فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا ، فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ ، على الأرائِكِ يَنظرونَ، تَعرفُ في وجوهِهم نَضْرةَ النعيم ، يُسقونَ من رَحِيقٍ مَختومٍ ، ختامُهُ مِسكٌ، وفي ذلكَ فليتنافسِ المتنافسونَ، ومزاجُه من تَسنيمٍ ، عيناً يَشربُ بها المقربونَ** ﴾ [المطففين : ٢٢ ـ ٢٨] ، فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين ؟ بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البَرْدِ وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، وما يحدث لهم باجتماع الشرابين . ويجيء أحدهما على إثر الآخر، حالة أخرى أكمل وأطيب وألذّ من كلٍّ منهما بانفراد ، وتعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله .

---

(١) في الأصل : مضمر، والصواب ما أثبتا .

(٢) في الأصل: بهم وهو خطأ.

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنهما نوعان لذيذان من الشراب . أحدهما : مزج بكافور [والثاني : مزج بزنجبيل، وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور] وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الجوف، والإيثار، والصبر، والوفاء بجميع الواجبات التي نبه بوفائهم بأضعفها، وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها، وهو ما أوجبه الله عليهم . ولهذا قال : ﴿ **وجزاهُم بما صَبرُوا جَنَّةً وحريراً** ﴾ [الإنسان : ١٢] ، فإن في الصبر من الخشونة، وحبس النفس عن شهواتها ، ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة، ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور، هذا جمال ظواهرهم، وهذا جمال بواطنهم، كما جملوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان ، ونظيره قوله تعالى في آخر السورة : ﴿ **عَالِيَهُمْ ثيابُ سُندسٍ خُضْرٌ وإسْتَبرقٌ وحلُّوا أسَاوِرَ من فضةٍ** ﴾ [الإنسان : ٢١] فهذه زينة الظاهر، ثم قال : ﴿ **وسقاهمْ رَبُّهمْ شراباً طَهوراً** ﴾ [الإنسان : ٢١] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص. ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام : ﴿ **إنَّ لكَ أن لا تَجوعَ فيها ولا تَعرَى ، وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى** ﴾ [طه : ١١٨ ـ ١١٩] ، فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع، ولا ذل الظاهر بالعري، وأن لا يناله حرّ الباطن بالظمأ، ولا حرّ الظاهر بالضحى، ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يواري سوآتهم ، ويزين ظواهرهم، ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم ، وهو لباس التقوى، وأخبر أنه خير اللباسين ، وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظها من كل شيطان مارد، فزين ظاهرها بالنجوم، وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر، ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن، وهو التقوى، وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف : ﴿ **فَذَلِكُنَّ الذي لُمتنني فيهِ** ﴾ [يوسف : ٣٢] فأرتهن حسنه وجماله، ثم قالت : ﴿ **ولقَدْ راودتُهُ عن نفسهِ فاستعصَمَ** ﴾ [يوسف : ٣٢] . فأخبرتهن بجمال باطنه، وزينته بالعفة، وهذا كثير في القرآن لمتأمله .

الباب الثامن والأربعون

في ذكر طعام أهل الجنة، وشرابهم ومصرفه

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ المتَّقِينَ في ظِلالٍ وعُيونٍ ، وفَواكِهَ مِمَّا يَشتَهُون ، كُلوا واشْربُوا هَنيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعملون ﴾ [المرسلات : ٤١ ـ ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ فأمَّا مَنْ أوتيَ كتابَهُ بيمينهِ فيقولُ هَاؤُمُ اقرأوا كتابَيَهْ ، إني ظَنَنتُ أني مُلاقٍ حِسَابيهْ ، فَهُوَ في عِيشةٍ رَاضيةٍ ، في جنةٍ عاليةٍ ، قطوفُها دانية ، كُلُوا واشْرَبُوا هَنيئاً بِمَا أسْلَفْتُم في الأيامِ الخاليةِ ﴾ [الحاقة : ١٩ ـ ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ وتلكَ الجنةُ التي أُورِثْتُموها بما كنتم تعملون ﴾ [الزخرف : ٧٢] . وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المتقونَ تَجري مِنْ تحتِها الأنهارُ أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها ﴾ [الرعد : ٣٥] . وقال تعالى : ﴿ وأمْدَدناهم بفَاكِهةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يشتهونَ ، يتنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيم ﴾ [الطور : ٢٢ ـ ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ يُسقَونَ مِنْ رَحيقٍ مَختومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وفي ذلكَ فلتنافسِ المتنافسونَ ﴾ [المطففين : ٢٥ ـ ٢٦] .

وفي « صحيح » مسلم من حديث أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسولِ الله ﷺ : « يأكلُ أهلُ الجنةِ، ويشربونَ، ولا يمتخطونَ ولا يتغوطونَ ولا يبولونَ ، طعامهم ذلك جُشاءٌ كريحِ المسكِ، يُلهمونَ التسبيحَ والحمد كما تُلهمونَ النفسَ »(١) ورواه أيضاً : من رواية طلحة بن نافع، عن جابر وفيه قالوا: فما بالُ الطعامِ ؟ قال : «جُشاءٌ ورشحٌ كرشحِ المسكِ ، يُلهمونَ التسبيحَ والتحميدَ »(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (١٩) و(٢٠) في صفة الجنة : باب (٧) في صفات الجنة وأهلها .

(٢) قطعة من حديث عند مسلم (٢٨٣٥) (١٨) في صفة الجنة : باب (٧).

وفي « المسند » و« سنن » النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش، عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم، تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلون ويشربونَ ؟ قال : نعم ، والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليُعطىٰ قوة مئة رجل في الأكل والشربِ والجماعِ والشهوةِ، قال : فإنَّ الذي يأكلُ ويشربُ تكون له الحاجةُ وليس في الجنة أذى، قال : تكون حاجةُ أحدهم رَشْحاً يفيضُ من جلودهم كرشحِ المسكِ فيضْمُرُ بطنُهُ »[1] .

ورواه الحاكم في « صحيحه » ولفظه : « أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود فقال : يا أبا القاسم، ألستَ تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلونَ فيها ويشربونَ ؟ ـ ويقول لأصحابه : إن أقر لي بهذا خصمته ـ فقال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ ، إن أحدَهم ليُعطى قوةَ مئةِ رجلٍ في المطعم والمشرب والشهوة والجماع ، فقال له اليهودي : فإن الذي يأكلُ ويشربُ تكونُ له الحاجةُ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : حاجتُهم عَرقٌ يَفيضُ من جلودِهم مثلَ المسكِ ، فإذا البطنُ قد ضُمِّر »[2] .

وقال الحسن بن عرفة : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج، عن عبدالله بن الحارث، عن عبدالله بن مسعود، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إنَّك لتنظرُ إلى الطيرِ في الجنةِ فتشتهيهِ، فيخرُ بينَ يديكَ مشوياً »[3] .

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبدالله بن سلام : في أول طعام يأكله أهل الجنةِ، وشرابهم على أثره ، وحديث أبي سعيد الخدري : « تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خبزةً واحدةً يتكفأُها الجبارُ بيدهِ نُزلاً لأهلِ الجنةِ »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ٣٦٧/٤ و٣٧١ ، والنسائي في « الكبرى » في التفسير كما في « تحفة الاشراف » (٣٦٥٨)، والطبراني في « الكبير » (٥٠٠٥) و(٥٠٠٦) .

(٢) لم نجده في « مستدرك الحاكم . وأخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٢) ، وابن أبي شيبة ١٠٨/١٣ ـ ١٠٩ ، وذكره السيوطي في «الدر» ٤١/١ .

(٣) أخرجه البزار (٣٥٣٢)، والبيهقي في «البعث» (٣٥٣)، وذكره في «مجمع الزوائد» ٤١٤/١٠، وفيه حميد بن عطاء وهو ضعيف.

(٤) تقديم تخريجهما ص ٢١٠ (٢) .

وقال الحاكم : أنبأنا الأصم، حدثنا إبراهيم بن منقذ، حدثنا إدريس بن يحيى، حدثني الفضل بن المختار ، عن عبيد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك الخطْمي ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنةِ طيراً أمثالَ البخاتي ، فقال أبو بكر : إنها لناعمةٌ يا رسولَ اللهِ ، قال : أنعمُ منها من يأكلها، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر »[1] .

قال الحاكم : وأنبأنا الأصم، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء ، أنبأنا سعيد، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **ولحمِ طيرٍ مما يشتَهونَ** ﴾ قال : ذُكر لنا أن أبا بكر قال : يا رسولَ اللهِ، إني لأرى طيرَ الجنةِ ناعمةً كما [أن] أهلها ناعمونَ ، قال : «من يأكُلها أنعمُ منها ، وإنها أمثالُ البخاتي ، وإني لأحتسبُ على اللهِ أنْ تأكلَ منها يا أبا بكرٍ »[2] ، وبهذا الإسناد عن قتادة، عن أبي أيوب رجل من أهل البصرة، عن عبدالله بن عمرو في قوله تعالى : ﴿ **يُطافُ عليهم بصِحافٍ من ذهبٍ** ﴾ [الزخرف : ٧١] ، قال : يطافُ عليهم بسبعينَ صَحْفة من ذهبٍ كلُّ صحفةٍ فيها لون ليس في الأخرى[3]».

وقال الدراوردي : حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن أبيه عبدالله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول في الكوثر : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « هو نَهَرٌ أعطانيهِ ربي أشدُّ بياضاً من اللبنِ، وأحلى من العسل، فيه طُيورٌ أعناقُها كأعناقِ الجزُرِ»، فقال عمرُ بنُ الخطاب: إنها يا رسولَ الله لناعمةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «آكلها أنعمُ منها»[4] تابعة إبراهيم بن سعد عن ابن أخي ابن شهاب، وقال: فقال أبو بكر بدل عمر.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٤)،وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٦ ولم ينسبه إلى غير البيهقي، والعراقي في تخريج « الإحياء » ٥٤٠/٤ وقال : غريب من حديث حذيفة .

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٥) .

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث والنشور » (٣٥٦) .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٤٢) في صفة الجنة : باب (١٠) ما جاء في صفة طير الجنة، وقال : حديث حسن غريب، والبيهقي في « البعث » (٢٩١) ، والعراقي في تخريج « الإحياء » ٥٤٠/٤ .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : حدثنا عبدالله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وكأسٍ من مَعينٍ** ﴾ [الواقعة : ١٨] . يقول : الخمر [وقوله :] ﴿**لا فيهَا غَوْل**﴾ [يقول] : ليس فيها صداع، وفي قوله [تعالى] : ﴿ **ولا يُنزِفون** ﴾ [الواقعة : ١٩] يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله [تعالى] ﴿ **وكأساً دِهاقاً**] [النبأ : ٣٤] يقول ممتلئة ، وقوله : ﴿ **رَحِيق مختوم** ﴾ [المطففين : ٢٥] يقول : الخمر ختم بالمسك. وقال علقمة، عن ابن مسعود : ﴿ **خِتامُهُ مِسْكٌ** ﴾[1] [المطففين : ٢٦] . قال : خلطه، وليس بخاتم [ثمَّ] يختم .

قلت : يريد ـ والله أعلم ـ أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة، وليس من الخاتم .

وقال زيد بن معاوية : سألت علقمة عن قوله [تعالى] : ﴿ **ختامُه مِسْكٌ** ﴾ فقرأ ﴿ **خاتمهُ مسكٌ** ﴾ فقال لي علقمة : ليست خاتمه ، ولكن اقرأها ﴿ **ختامُهُ مِسْكٌ** ﴾ قال علقمة : ختامه : خَلْطه ، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب : إنَّ خَلْطه من مسك ، لكذا وكذا[2] .

وذكر سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة ، عن مسروق الرحيق : الخمر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك، وبهذا الإسناد عن مسروق، عن عبدالله في قوله [تعالى] : ﴿ **ومِزَاجُه من تَسْنِيمٍ** ﴾ قال : يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً[3] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في « التفسير » ١٠٦/٣٠ مختصراً، والبيهقي في «البعث» (٣٥٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٨/٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٦٠)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٨/٦، ونسبه إلى عبد بن حميد مختصراً، وإلى ابن الأنباري في «الوقت والابتداء» ولم أجده، وله شاهد من حديث ابن مسعود كما في «الدر» أيضاً ونسبه إلى الفريابي، والطبراني، والحاكم.

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٢)، وابن أبي شيبة ١٤٢/١٣ ، وابن جرير ١٠٨/٣٠ ، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٢٢)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٢٨/٦ ونسبه إلى سعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وكذلك قال ابن عباس: يشرب بها المقربون صرفاً، ويمزج لمن دونهم[1].

وقال: ﴿ ختامُه مسكٌ ﴾ يقول: طينه مسك[2] وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير. ولفظ الآية أوضح منه. وكأنه ـ والله أعلم ـ يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدُّردِيِّ.

وذكر الحاكم من حديث آدم: حدثنا شيبان، عن جابر، عن ابن سابط، عن أبي الدرداء في قوله: ﴿ خِتَامُه مِسكٌ ﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها[3].

قال آدم: وحدثنا أبو شيبة، عن عطاء قال: ﴿ التَّسنيمُ ﴾: اسم العين التي يمزج بها الخمر[4].

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، أنبأنا حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وكأساً دِهاقاً ﴾ [النبأ: ٣٤] قال: هي المتتابعة الممتلئة. قال: وربما سمعت العباس يقول: اسقنا وأدهق لنا[5]. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ إنَّ الأبرارَ يشربون من كأسٍ كان مِزاجُها كافوراً، عيناً يشربُ بها عبادُ الله يفجِّرونها تفجيراً ﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٦] وعلى قوله: ﴿ ويُسقونَ فيها كأساً كان مزاجُها زَنْجبيلاً. عَيْناً فيها تسمى سلسبيلاً ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠/١٠٩، والبيهقي في «البعث» (٣٦٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٢٨ بألفاظ متقاربة ونسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٤).

(٣) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٥)، وابن جرير ٣٠/١٠٧، والسيوطي في « الدر المنثور » ٦/٣٢٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وفيه: ريحها بدل طيبها.

(٤) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٦٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٢٨.

(٥) أخرجه البيهقي في « البعث » (٣٥٨)، والحاكم ٢/٥١٢، وقال: صحيح ووافقه الذهبي، وابن جرير ٣٠/٢٠، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٠٩ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، ومجاهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

[الإنسان : ١٦ ـ ١٧] ، فقالت فرقة : سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل، وسبيلاً منصوب على المفعول، أي سل سبيلاً إليها، وليس هذا بشيء ، وإنما السلسبيل كلمة مفردة، وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ، ولقد سعى قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة، فقال قتادة : سَلِسة لهم يصرفونها حيث شاؤوا . وهذا من الاشتقاق الأكبر؛ وقال مجاهد : سلسة السبيل حديدة الجَرْية ، وقال أبو العالية والمقاتلان : تسيل عليهم في الطرق، وفي منازلهم، وهذا من سلاستها وحِدَّة جَرْيتها ، وقال آخرون : معناها طيبة الطعم والمذاق. وقال أبو إسحاق : سلسبيل : صفة لما كان في غاية السلاسة، فسميت العين بذلك .

وقال ابن الأنباري : الصواب في سلسبيل : أنه صفة للماء ، وليس باسم للعين ، واحتج على ذلك بحجتين :

إحداهما : أن سلسبيلاً مصروف، ولو كان اسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية .

الثانية : أن ابن عباس قال : معناه أنها تنسل في حلوقهم انسلالاً .

قلت : ولا حجة له في واحدة منهما، أما الصرف : فلاقتضاء رؤوس الآي له كنظائره ، وأما قول ابن عباس : فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلاسة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة ، والحلوى ، وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر، وليس في الدنيا مما في الآخرة [إلاَّ] الأسماء ، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر . فإن قيل : فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار ؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ ﴿ كُنْ ﴾ وأجاب آخرون : بأنه يشوى خارج الجنة، ثم يؤتى به إليهم . والصواب : أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام، على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح ولا تفسد شيئاً .

وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « مَجامرُهم الأَلُوَّةُ »[1] و« المجامر » : جمع

---

(١) تقدم مطولاً ص ١٥٥ ت (١) .

مجمر، وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه ، و« الألوة » : العود المطرَّى ، فأخبر أنهم يتجمرون به، أي يتبخرون بإحراقه، لتسطع لهم رائحته .

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً، والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال : ﴿ **هم وأزواجهُم في ظِلال على الأرائك متَّكئونَ** ﴾ [يس:٥٦] وقال : ﴿ **إن المتقينَ في ظلالٍ وعيونٍ** ﴾ [المرسلات : ٤١] . وقال : ﴿ **ونُدْخِلُهم ظلاًّ ظَليلاً** ﴾ [النساء : ٥٧] . فالأطعمة والحلوى والتجمر يستدعي أسباباً تتم بها . والله سبحانه خالق السبب والمسبب، وهو ربّ كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق، الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه، وذاك سبب إنضاجه، وكذلك يجعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه، ويهيئه لخروجه رشحاً وجشاءً، وكذلك ما هناك من الثمار والفواكه يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالاً، فربُّ الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق بالأسباب والحكم ما يجعله في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته، ولكنها تختلف، ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة ، وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر، وذلك محض الجهل والظلم، وإلا فليست قدرته سبحانه [وتعالى] مقصورة عن أسباب أخر، ومسببات ينشئها منها كما لم تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته ، وليس هذا بأهون عليه من ذلك .

ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب [سبحانه وتعالى] فيها بالعيان والمشاهدة، أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب. ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة، والماء والخشب والنور المناسب لها ، أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة، ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ، ومن قيء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل

إخراج جوهري الذهب والفضة في عروق الحجارة من الجبال وغيرها ، أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز، وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر، أحكم بناءً، أعجب من إخراجه من أكمام تتفتق عنه شجر هناك ، قد أودع فيها، وأنشىء منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود .

وبالجملة ، فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها ، وجعلها آيات دالة على كمال قدرته، وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه ، وعلى توحده بالربوبية والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار، تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها،وتجدهما من مشكاة واحدة، ورب واحد، وخالق واحد، وملك واحد، فبعداً لقوم لا يؤمنون .